

التوجيه النحوي للقراءات القرآنية

عبد المتين، باحث دكتوراه، بقسم اللغة العربية وآدابها،
الجامعة العالية، كولكاتا، الهند.

ملخص البحث: إن علم توجيه القراءات القرآنية علم جليل وشريف بشرف متعلقة. وهو متعدد بتعدد مرده مرجعه، فمنه التوجيه النحوي، والتوجيه الصرفي والتوجيه البلاغي.

وقد أردت هذه البحث التعريف بالتوجيه النحوي من حيث أهم مظاهره ووجوده، وأمثله وأعلامه.

أهداف البحث: ذكر أهم المصنفات المتضمنة لتوجيه النحوي للقراءات.

ذكر نماذج للتوجيه النحوي للقراءات القرآنية.

منهج البحث: قد اخترت المنهج الوصفي.

التمهيد: إن القرآن الكريم هو أشرف الكلام الذي عكف العلماء على خدمته ببيان علومه، يعد كل علم يتعلق بكتاب الله من أجل العلوم وأشرفها قدرًا، ومن هذا العلوم علم الإعراب، الذي يمهد لعلم المعاني، إذ لا يمكن لشخص أن يقدم نص يجهل معناه، لذا يجب على من يريد تفسير القرآن أن يكون عالمًا بعلوم اللغة، خاصة بعلم الإعراب.

التوجيه النحوي للقراءات

علم توجيه القراءات: هو أحد العلوم التي تُعد من علوم القراءات، منها: علم رسم المصحف، وعلم ضبط المصحف، وعلم عد الآي، وعلم توجيه القراءات.

وأما القراءات: فهي جمع قراءة، وعرفها ابن الجوزي رحمه الله تعالى بأنها: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن وإختلافها بعزو الناقل^١. فبين رحمه الله تعالى أن علم القراءات إنما هو علم يتناول الكيفيات التي نزل بها القرآن الكريم، والكيفيات التي وردت في قراءة القرآن الكريم كلام رب العالمين، ويتناول ما جاء فيها من الاتفاق والاختلاف، والعزو للنقطة.

فكل ما جاءنا من أحرف القرآن فهو معلوم ومعلوم من نقله ومن رواه إلى منتهاه، فلا يكفي المتعلم لعلم القراءات معرفة الاختلاف، ولكن ينبغي له أن يكون عالمًا بمن نقل هذا الاختلاف ومن رواه، لأن الراوي يؤثر في صحة المروي. ولذلك ألف الإمام ابن الجزري كتابه الجليل "كتاب النشر" الذي يعد عمدة من عمد كتب القراءات، ألفه على شرط الإمام البخاري رحمه الله تعالى، وهكذا كما ذكر الجزري مما لم يقع لمن قبله أو لمن يسبق إليه في دقة التحرير واشتراط المعصرة واللقى في رواية القرآن الكريم^٢.

وهذا من أجمل ما يمكن أن يذكر في هذا الشأن المشتهر عند الطلبة العلم وعند أهل العلم أن اشتراط الرقي والمعاصرة إنما هو في الحديث، أما القرآن ورواية القرآن ربما لا يُسمع لهذا الاشتراط ذكرًا كثيرًا عند البعض، وإلا فإن هذا من الأمور المهمة التي تقوي صحة النقل.

وكل هذه القراءات والروايات راجعة إلى الأحرف السبعة التي جاء ذكرها في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف"^٣.

والتوجيه في اللغة مصدر يطلق على عدة معاني منها البيان، وهو الذي يتناسب معناه مع المعنى الاصطلاحي عندنا في بيان معنى توجيه القراءات، قال ابن منظور في لسان العرب: "ويقال خرج القوم فوجهوا للناس الطريق توجيهًا إذ وطئوه وسلكوه حتى استبان أثر الطريق لمن يسلكه"^٤.

ومن هنا نأخذ ما تفيدته كلمة: "التوجيه" من البيان والإيضاح.

• وبهذا يمكن أن نعرف علم توجيه القراءات بأنه:

علم يبين حجج القراءات وأسبابها وعللها.

ومما يطلق على العلم من الأسماء:

علم الاحتجاج للقراءات، وعلم معاني القراءات؛ لأن فيه بيان لمعاني القراءات.

• ويحتاج المتعلم لتوجيه القراءات عدة علوم مساعدة، منها:

علم النحو وعلم الصرف وعلم البلاغة وعلم الاشتقاق، وهي من علوم اللغة العربية، ومن العلوم التي يحتاج إليها في توجيه القراءات علم رسم المصحف وعلم العقيدة وعلم الفقه وعلم التفسير كلها مهم في دراسة هذا العلم ولا يستغني عنها طالب هذا العلم الشريف المبارك.

مؤلفات علم توجيه القراءات:

وتنقسم إلى قسمين:

- **القسم الأول:** مؤلفات خاصة بالتوجيه، ألفت ابتداء لبيان توجيه القراءات.

- **القسم الثاني:** الكتب التي تتضمن علم التوجيه وليست مؤلفة ابتداءً، ككتب التفسير وإعراب القرآن.

• الكتب التي ألفت في توجيه القراءات أصالة:

فمنها كتاب "حجة القراءات السبعة" لابن خالوية،

ومنها: "معاني القراءات" لأبي منصور الأزهرى.

ومنها: "الحجة للقراءات السبعة" لأبي علي الفارسي، وهو أوسع كتب توجيه القراءات، فقد طبع في عدة الطباعات في سبعة مجلدات. وهو كتاب بسط فيه القول وذكر فيه أسباب وعلل فيه القراءات، واستشهد لها كثيرًا بكلام العرب وأشعارها، مقتفيًا أثر الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، حيث كان يكثر الاستشهاد للقرآن بشعر العرب.

ومنها: "كتاب حجة القراءات" لأبي زرعة بن زنجلة،

ومنها كتاب "الكشف عن وجوه القراءات السبع" لمكي بن أبي طالب.

ومنها كتاب "شرح الهداية" لأبي العباس أحمد بن العار المهدي، وهو الذي ذكره الشاطبي في باب الاستعادة عن قوله "وكم من فتى فيه كامهدي".

ومنها: كتاب "الموضح المذاهب الأئمة واختلافهم في الفتح والإمالة" لأبي عمر الداني.

ومنها كتاب: "المختار في معاني قراءات أهل الأمصار" لأحمد ابن أدريس.

ومنها كتاب: "كشف المشكلات وإيضاح المعضلات" لأبي الحسن الباقولي.

ومنها كتاب: "الموضح في وجوه القراءات وعللها" لنصر المشهور بابن أبي مريم.

• ومن كتب المعاصرين في علم توجيه القراءات:

كتاب "طلانع البشر" للشيخ محمد الصادق قمحاوي، وهو من الكتب المعاصرة المختصرة التي تناسب المبتدئين.

وكتاب "المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة" للدكتور محمد سالم محسن. ومنها كتاب: "قلاند الفكر في توجيه القراءات العشر" للقاسم الدجوي ومحمد الصادق قمحاوي. وكتاب "القراءات الشاذة وتوجيهها من لغات العرب" للشيخ عبد الفتاح القاضي، وهو كتاب مختصر في توجيه القراءات الأربعة الزائدة على العشرة.

التوجيه النحوي:

المراد به ما كان راجعاً إلى علم النحو، وعلم النحو هو العلم الذي يتعلق بأخر الكلم من حيث الإعراب والبناء. وهذه بعض النماذج للتوجيه النحوي للقراءات القرآنية:
الأول: قال الله تعالى في سورة البقرة "فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ"، قرأها الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى "فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ" بنصب آدم ورفع كلمات.
ولكن قرأها سائر القراء "فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ".

فالاختلاف بين القراءتين نحوي:

فَأَدَمُ في قراءة الرفع فاعل، وكلمات مفعول به. وأما القراءة الأخرى ("فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ") فَأَدَمُ مفعول به مقدم وكلمات فاعل. والحال أن كل من تلقاك فقد تلقيته، تلقى آدم من ربه كلمات أي قبلها وكلمات جاءت إليه فهي فاعل من هذه الناحية ومفعول به من تلك الناحية حين تلقاها آدم فهي مفعول به، فإذا نظرنا إلى كونها جاءت فهي الفاعل.

الثاني: قول الله تعالى في سورة النساء "وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ"، وقد قرئت بالجر والنصب أيضاً "وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ".

وقراءة النصب هي قراءة الجمهور "وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ" أي واتقوا الأرحام فهو معطوف على لفظ الجلالة. وأما قراءة الجر فهو توجيهها العطف على الضمير المجرور في به من قول الله تعالى "وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ" أي وبالأرحام وهذه قراءة من قراءات التي حصل فيها نزاع عند النحاة، وإلا فهي ثابتة في النقل المتواتر وعليه فمنها تُقَدِّمُ القواعد النحوية ولا تكون القواعد النحوية حاکمة عليها لا سيما أنها قد جاء الكلام بها ولها شواهد في كلام العرب.

وحينئذ نقول يجوز عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور من دون إعادة حرف الجر^v.
الثالث: قال الله تعالى في سورة المائدة "هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ" وهي بيّنة، أما القراءة الأخرى "هَتَسْتَطِيعُ رَبُّكَ" ومعناها: هل تستطيع أن تدعوا ربك، ولفظ ربك مفعول به وأما "هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ" فإن ربك هو الفاعل^{vi}.

الرابع: قال الله تعالى في سورة المائدة "هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ"، قرأ الإمام نافع لفظ "اليوم" بالرفع على أنها خبر وقرأها سائر القراء بالنصب على الظرفية^{vii}.

الخامس: قال الله عز وجل في سورة يس "لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ" وفي قراءة "وما عملت أيديهم" قرأها حمزة والكسائي وشعبة بحذف الهاء، وتوجيه القراءات في الآية النحوي؛ لأن القاعدة النحوية أن الاسم الموصول إذا جاء بعده ضمير متصل منصوب جاز حذفه وإثباته^{viii}، والحذف أكثر كما قال ابن مالك رحمه الله تعالى في ألفيته.

والحذف عندهم كثير منجلي

في عائد متصل إن انتصب

السادس: قال الله تعالى في سورة الطلاق: "إِنَّ اللَّهَ بِأَلْعِ أَمْرِهِ" وبالغ هو اسم فاعل، واسم الفاعل يعمل الفعل، فيجوز أعماله فينصب مفعولاً في هذا الموضع "أمره" فنصب أمره وبالغ لأنه اسم فاعل يعمل عمل الفعل، ويجوز إضافته إلى مفعول وهذا من التخفيف عند النحاة: (بَالْعِ أَمْرِهِ) وبالإضافة ينتفي أو يمتنع التنوين بالإضافة والتنوين لا يجتمعان.

الخاتمة: فقد توصلت في هذا البحث إلى النتائج التالية:

الأول: أكد البحث أن موضوع علم النحو في فهم النص القرآني في حاجة ماسة إلى دراسات مستفيضة، لقلّة الأبحاث والدراسات التي تناول هذا الموضوع عبر العصور المختلفة.

الثاني: أوضح البحث أن الإعراب قام بمساعدتنا في الوقوف على التقديم والتأخير أو الحذف في الآيات القرآنية مما جعلنا نفهم معني النص القرآني بصورة مفهومها أقرب إلى المعني المراد من هذا النص.

الثالث: أظهر البحث الفائدة الكامنة في معرفة إعراب النصوص القرآنية، لما في ذلك من المحاولة للوصول إلى مراد الله عز وجل بقدر الطاقة البشرية.

الرابع: حدد البحث بعض المعانب المتعلقة بالإعراب من حيث اللغة والاصطلاح، وربط المعني اللغوي بالمعني الاصطلاحي للوصول إلى معرفة التطور اللغوي لمصطلح الإعراب.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالوية، تحقيق: عبد العال مكرم، دار الشروق، 1401هـ.
- حجة في القراءات، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، دار الرسالة، 1403هـ.
- الحجة للقراءات السبعة، الحسين بن أحمد الفارسي، دار المأمون للتراث، 1993م.
- طلائع البشر في توجيه القراءات العشر، محمد الصادق قمحاوي، عالم الكتب، 1424هـ.
- القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، الشيخ عبد الفتاح القاضي، دار إحياء الكتب العربية.
- قلاند الفكر في توجيه القراءات العشر، الأستاذان: قاسم الدجوي ومحمد قمحاوي.
- الكشف عن وجوده القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، دار الحديث، 1428هـ.
- النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، المطبعة التجارية الكبرى.
- الموضح في وجوه القراءات وعللها، أبو عبد الله نصر بن علي بن محمد الشيرازي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2009م.
- ابن خالوية والحسين بن أحمد إعراب القراءات السبع، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1413هـ.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، بيروت، دار المعرفة، 1972م.

- النحاس، أبو جعفر، إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي. بيروت، دار الكتب، 2005م.
- النمس، د. فضل محمد، الإعراب والمعنى، رسالة ماجستير، إشراف د. محمود فهمي حجازي، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، 1991م.
- الإبراهيم، محمد الطيب، إعراب القرآن الميسر، دار النفائس، بيروت، 1422هـ.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980م.
- ابن الجوزي، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، تقريب العشر في القراءات العشر، ومراجعة على الضباع، القاهرة، دار الفكرية، 2014م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت، دار الهدى، 2001م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة، ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق د. عمر الطباع، بيروت، مكتبة المعارف، 1993م.
- يعقوب، إميل بديع، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، 1982م.

ⁱ منجد المقرئين ص: 9

ⁱⁱ ينظر النشر في القراءات العشر 1/192.

ⁱⁱⁱ رواه الإمام البخاري برقم: 3219.

^{iv} لسان العرب 13/558.

^v الحجة لابن خالويه ص: 118.

^{vi} معاني القراءات، ص: 343.

^{vii} حجة القراءات لابن زنجلة ص: 242.

^{viii} الحجة لأبي علي الفارسي، 1/298.